جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثانية

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي

عنوان المحاضرة: استصلاح الأراضي في العصر الأموي

أسم التدريسي :م.د. وجيدة ممدوح يوسف

الإيميل الجامعي للتدريسي :wajiadh.mamdouh@tu.edu.iq

استصلاح الاراضي

كانت عناية الخلفاء الأمويين وامرائهم وولاتهم بتحسين مشاريع الري مدفوعة بدافع اقتصادي الى درجة كبيرة ، وأدى هذا بمرور الزمن الى احياء الكثير من الأراضي الموات والاراضي التي هجرها اهلها ، وتلك التي غطتها المياه، فلم تعد صالحة للزراعة، وبذلك فقد ساعدت عمليات حفر الأنهار والترع الى اعادة الحياة لهذه الاراضي مما جلب الخير الوفير. ان العملية استصلاح الأراضي ، لأغراض الزراعة لم تكن عملية مقصورة على الخلفاء الأمويين وحدهم أنما كانت عملية واسعة تمتد جذورها الى زمن الرسول الكريم قول رسول الخلفاء الراشدين، فيقول رسول الله ما نصه من احيا ارضا مواتا فهي اعمر ارضاً ليست لأحد فهو احق بها)

وسار الخلفاء الراشدون على النهج نفسه، فورد عن الخليفة عمر (رض) قوله (من احيا ارضاً ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين اذ ان العادة كانت جارية بان راشخاصاً كانوا يحتجرون من الارض مالا يعمرونه وقال يحيى بن ادم ان رجلا جاء الخليفة علي بن ابي طالب (الله) فقال له اتيت ارضا قد خرجت وعجز عنها اهلها وعجز عنها قول بخلية أهلها فكريت انهارا وزرعتها قال كن هنيئا وانت مصلح غير مفسد، معمر غير مخرب.

وقد اتسع نطاق احياء الاراضي واصلاحها للزراعة ايام الامويين، وصار الخلفاء هم المسؤولون عن منح الأذن للاشخاص الذين يرومون احياء الاراضي ولمقولة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز اهمية كبيرة في هذا المجال، ويعد امتدادا واضحا لنظرية الرسول والخلفاء الراشدين في احياء الاراضي اذ قال: (من غلب الماء على شيء فهو له) فمعالجة أي فرد في ازالة المياه عن ارض مغمورة بالمياه واصلاحها بعد ان كانت كذلك اما عن طريق النزح او عن طريق التسهيل حتى ينضب عنها الماء فتكون بذلك المستصلحة لمن يحيها، فحكم هذه الأرض حسبما رأى الخليفة عمر بن عبد العزيز أن تكون لمن فعل ذلك ونزح المياه عنها. لقد كانت هناك عمليات استصلاح متعددة في الكثير من المناطق، ارتقى بعضها إلى مصاف المشاريع الضخمة لا سيما مشروع اعادة استصلاح البطائح، في حين قد نفذت مشاريع اقل اهمية من ذلك ، فتذكر الرواية ان الوليد بن عبد الملك اقطع سعيد بن عبد الملك نهره الذي كان يأخذ مياهه من نهر الفرات، وكان في الاصل غيضة فيها سباع فاعطاها اياها فعمرها واستصلحها فصارت تعرف باسمه وصار النهر يعرف باسم (نهر سعيد)

اما البطائح (الاهوار) فانها منطقة واسعة تقع بين واسط والكوفة شمالا والبصرة جنوبا تكونت اما في سنة ست أو سبع هجرية على اثر زيادة المياه في نهر الفرات زيادة عظيمة انت الى غرق هذه الاراضي بسبب اهمال كسرى فارس ابرويز في سد البثوق والسيطرة على الفيضانات، ويذكر البلاذري ان زيادة الفرات ادت الى غرق عدة طساسيج وبساتين واتسعت مساحة أراضي البطائح ايام الخلفاء الراشدين فعندما تولى الأمويون الامر قام بعض خلفائهم

وأمرائهم باستخراج واستصلاح مساحات واسعة من اراضيها مما يذكر ان الخليفة معاوية بن

ابي سفيان ولى عبد الله بن دراج لم ولاء مسؤولية (خراج العراق فاستصلح عبد الله للخلف

الاراضي من البطائح قدرت قيمة غلة هذه الاراضي المستصلحة بخمسة ملايين درهما عقد

قام اولا بقطع القصب الذي كان غالبا على البطائح ثم سيطر على المياه ببناء المسنيات)

لكن يبدو ان عملية عبد الله بن دراج هذه لم تكن محكمة الى درجة كبيرة كما أنها لم تكن

،واسعة، اذ يذكر البلاذري ان السدود والبثوق قد انفجرت مرة أخرى خلال خلافة عبد الملك

الذرو بن مروان حينما كان الحجاج الثقفي واليا على العراق، في حين ان هناك رأيا اخر يقول ان هذا الوالي قد أهمل السيطرة على البثوق لاسباب سياسية – اقتصادية لجلب الضرر على

الدهاقين، لانه اتهمهم بموالاة حركة عبد الرحمن بن الأشعث، ومع ذلك فان هناك من الروايات التاريخية ما يؤكد أن الحجاج الثقفي بعد أن صمم على اتخاذ مدينة واسط مدينة له ولجنده بدلا من البصرة والكوفة أنجز عدة مشاريع تهدف الى احياء الاراضي في منطقة البطائح فانه عندما نزل واسط حفر النيل والزابي واحيا الأراضي الواقعة عليهما، لقد استمر الحجاج في عملية استصلاح الاراضي ومتابعتها حيث ولي حسان النبطي هذه المهمة (وهو مولى لبني ضبه والى حسان هذا ينسب الحوض المعروف بالبصرة (حوض (حسان كما تنسب اليه المنارة الموجودة في البطائح التي تسهل عملية الملاحة، وقد نجح في استخراج مساحات غير قليلة من اراضي البطائح للحجاج ايام خلافة الوليد وهشام ابني عبد الملك بن مروان وتضيف الينا الروايات انه كان بكسكر في البطائح قبل حدوث الفيضانات نهر يقال له (نهر) (الجنب) فلما تبطحت البطائح (أي عندما ظهرت البطائح وطغت المياه على (الأراضي) تحول ذلك النهر الى اجام

وسمي اجام البري والاجمة منطقة غير صالحة الزراعة تكسوها غابة من القصب والشجر لذلك عندما قام الأمويون بمشروع استصلاح اراضي البطائح تحولت هذه الاجام الى اراضي صالحة للزراعة وظهرت فيها (الجامدة) وهي قرية كبيرة جامعة من اعمال مدينة واسط بينها وبين البصرة مسافة.

وهناك رواية اخرى تفيد بان السدود عندما انكسرت ايام ولاية الحجاج كتب بامرها إلى الخليفة الوليد بن عبد عبد الملك واخبره ان تكاليف سد هذه البثوق تبلغ ثلاثة الاف الف درهم ما يعادل ثلاثة ملايين (درهم فاستكثرها الوليد لكن مسلمة بن عبد الملك وعد أن ينفق على سد هذه البثوق في البطائح شريطة ان يقطعه الخليفة الاراضي المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد ان ينفق عليها المبلغ المذكور على ان يتولى الحجاج عملية الانفاق، فوافق الخليفة الوليد وبذلك تم لمسلمة استصلاح اراضي واسعة من طساسيج متصلة كما عمل على حفر نهر (السيبين) فعمرت بذلك تلك الاراضي. ان هذه الاعمال المهمة في استصلاح الاراضي قد شجعت دون شك الاهالي على القيام بواجباتهم في هذا الاتجاه حيث اتسعت رقعة الاراضي المستصلحة، مما حدى ببعضهم الى الجاء ملك الاراضي المستصلحة ضياعاً كثيرة للتعزز بمسلمة فازدادت لهذا السبب، مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في البطائح.

وفيما عدا هذا المشروع الكبير لاستصلاح اراضي البطائح الواسعة فان هنالك اشارات تاريخية عديدة تؤكد ما اتخذه الخلفاء الأمويون وعمالهم من اجراءات واعمال تهدف الى اصلاح الاراضي فقد ورد أن معاوية بن ابي سفيان قد اشترى ارضاً في وادي القرى من اليهود ولم تكن أنذاك ارضاً معمورة فاحياها فتحولت الى ارض منتجة ، وقام والي معاوية.